الفصل السادس

التفسيرات الذاتية (الفردية) للانحراف والجريمة

يمكن تقسيم النظريات الذاتية إلى مجموعتين، أولها: النظريات الكلاسيكية البيولوجية التي تربط أسباب الجريمة والجنوح بالمميزات الفيزيقية، كبنية الجسم والتكوين الجيني للفرد وغيرها، وهناك النظريات النفسية (psycology) والطب نفسية (psychiatry) التي ترى أن المنحرفين يعانون من شخصيات غير سوية مزمنة أو من نشأة مختلة (Seigel and Joseph Senna 1981:69-82).

وقبل البدء في التحدث عن النظرية البيولوجية، من المفيد أن نشير إلى فكرة «الإرادة الحرة» (النظرية الكلاسيكية القديمة) في علم الإجرام، والتي نادى بها (جيرمي بنتام Jermy Bentham)، وهذه الأفكار هي التي مهدت الطريق لبزوغ النظريات البيولوجية (الكلاسيكية الحديثة) التي ترفض فكرة الإرادة الحرة وتربط أسباب الجنوح والجريمة بالسمات الطبيعية.

وكانت المدرسة الكلاسيكية القديمة قائمة على مبدأ اللذة السيكولوجية (Hedonism) وعلى الإرادة المطلقة للفرد، بمعنى «أن الطبيعة قد وضعت الإنسان تحت قوتين أساسيتين، هما اللذة والألم، وهاتان القوتان هما اللتان تحددان كل تصرفات الإنسان، فكل شخص يسعى إلى الحصول على أكبر قدر من اللذة وإلى

تجنب الألم. ولما كان يفترض أن الإنسان يملك مطلق الحرية في الاختيار وفي التصرف فإنه يكون مسئولا عن كل التصرفات التي تصدر عنه مهما كانت الظروف التي تحيط به». والمفترض في هذه الحالة أن الإنسان يقوم بجريمته من أجل الحصول على اللذة، لذلك لا بد أن تكون العقوبة (الألم) مساوية للذة التي يحصل عليها نتيجة جريمته (نعيم، سمير ١٣٦:١٩٨٥).

ويمكن القول إن المدرسة الكلاسيكية القائمة على مبدأ «اللذة السيكولوجية» وعلى حرية الإرادة المطلقة للفرد هي إحدى ثمار عصر التنوير في أوروبا، وهي أول من فسر الجريمة بعيدا عن التفسيرات الدينية. ولم تسلم هذه المدرسة بمبدأ الحتمية العلمية الذي ساد التفكير العلمي بعد ذلك، والذي بدأه في ميدان علم الجريمة العالم الإيطالي لامبروزو، مؤسس المدرسة الوضعية positivisim في علم الإجرام (نفس المرجع ونفس الصفحة).

(١) النظريات البيولوجية

(١-١) النظريات الأنثروبولجية الفيزيقية

يعتبر سيزار لومبروزو (١٨٣٥-١٩٠٩) Cesare Lombroso الطبيب الايطالي هو المؤسس الأول للنظرية العلمية الحديثة المفسرة للسلوك الإجرامي، وذلك في القرن التاسع عشر، وترتكز هذه النظرية على مبدأ أساسه أن بعض الأفراد يولدون ولديهم استعداد فطري قوي للسلوك الإجرامي، وأن المجرم هو نوع من الأفراد لم يتطور على نحو يجعله واحدا من البشر الطبيعيين، وإنما هو ينتمي إلى صنف من البشر الذي يرتد إلى مرحلة بدائية في سلم التطور، والذي في تكوينه يشبه القردة (Giddens 1989:124). ويتضح من ذلك أن لومبروزو قد تأثر بما جاء من آراء في كتاب ل «تشارلز داروين» المسمى أصل الإنسان The Descent of Man »، وهي من النظريات التي تسلم بحتمية العوامل الوراثية في نشأة السلوك الإجرامي (هارون، أحمد ١٣٦:٢٠٠٩).

وقد كان لامبروزو متخصصا في الطب الشرعي والطب النفسي، وخدم في الجيش الإيطالي كطبيب، وأثناء خدمته في الجيش لاحظ أن الجنود الأشرار والمجرمين وأصحاب المشكلات لهم خصائص فيزيقية تميزهم عن الجنود المطيعين للقوانين، كما لاحظ أيضا أن كثيرا من الجنود كانوا يقومون بنقش وشم Tatoo على أذرعهم وصدورهم وأجزاء أخرى من أجسامهم، إلا أن الجنود المجرمين كانوا يميلون إلى أن يكون الوشم على أجسادهم قبيحا وغير مهذب، أما الجنود الأسوياء فكانوا يرسمون صورا بسيطة ومهذبة. واستخلص من ذلك أن النقش الذي ينقشه الشخص على جسمه قد يدل على طبيعته. وقد دعا ذلك لومبروزو إلى افتراض علاقة بين السلوك الإجرامي والخصائص النفسية والفيزيقية للفرد (نعيم، سمير ١٤٨:١٩٨٥).

وأدت هذه الفكرة إلى قيام لومبروزو بدراسة مستفيضة في السجون الإيطالية على المجرمين، وفي أثناء دراسته هذه قام بتشريح جثة أحد عتاة المجرمين بعد وفاته ووجد أن مخ هذا المجرم غير طبيعي من ناحية تكوينه، وأنه يشبه تكوين القردة، ومن هنا نشأت فكرة الردة (atavis)، أو العودة إلى خصائص الحيوانات قبل الإنسانية. وبهذه الفرضية بدأ لومبروزو يجري بحوثه ودراساته محاولا أن يثبت أن المجرم ليس سوى إنسان موصوم بوصمات الانحلال أو التدهور (stigmata of degeneracy)، أو أنه من أشباه القردة (نعيم، سمير١٤٩:١٩٨٥).

ورغم أن لومبروزو قد اعترف في آخر الأمر بأهمية تأثير التعلم الاجتماعي على تطور السلوك الإجرامي، إلا أنه كان ينظر إلى معظم المجرمين على أنهم منحطون أو مختلون بيولوجيا (Giddens 1989:124). فهو على سبيل المثال قد ادعى وجود ثلاثة أنواع من المجرمين: (١) مجرمين بالولادة. (٢) مجرمين مخبولين. (٣) أشباه المجرمين. النوع الأول من المجرمين: «المجرم بالولادة» يعتبر لومبروزو أنه «ارتداد سلفي إلى مستوى بشري أدنى أو أكثر بدائية»، وهذا النوع في نظره يشكل الغالبية العظمى من المجرمين، والنوع الثاني: «المجرم المخبول»

وهـذا النـوع يعتبـره لامبـروزو مريضـا عقليـا ونفسـيا. والنـوع الأخيـر: أشـباه المجرمين، يكونون ميالين لارتكاب الجرائم والسـلوك السـيئ في ظـروف معينـة (Vold and Bernard 1986:270).

وخرج لامبروزو من هذه الدراسات في كتابه «الشخص المجرم Criminal Man» بأن أهم الخصائص التي يتميز بها من أسماه بالمجرم بالميلاد (Born Criminal) هي: اختلاف حجم وشكل الرأس عن النمط الشـائع في العنصـر والمنطقـة التـي ينتمي إليها المجرم، عدم انتظام وتشابه نصفي الوجه Assymetry of the Face، كبر زائد في الفكين وعظام الوجنتين، تشوهات في العينين، كبر زائد أو صـغر غيـر عادي في حجم الأذنين أو بروزهما من الرأس بشكل يماثل أذني الشمبانزي، التواء الأنف أو اعوجاجه أو أنف أفطس أو مشابهته للمنقار أو وجود بـروز فيـه، جبهـة متراجعة للخلـف، زيـادة سـمك عظـام الجمجمـة، الـخ (نعـيم، سـمير ١٩٨٥؛ Lombroso 1968).

إلا أن لومبروزو من خلال دراسته تبين له أن هناك بعض الانحرافات والجرائم يتصف بها كل المجرمين من مختلف الأنواع الثلاثة التي صنفها، والتي لا يمكـن اقتصار تفسيرها على العوامل البيولوجيـة وحـدها (Recless,W.C 1940:164). ومن ثم أقر بوجود عوامل طبيعية وبيئية لتفسير الجريمـة، ففـي كتابـه «الجريمـة: أسبابها وعلاجاتها Crime: its causes and remedies»، قام بشرح تأثير المناخ، الكثافة السكانية، العنصر البشري، المجاعات، وعدة عوامل أخرى عـلى حـدوث الجريمة (Lombroso,C 1968). وقد تعرضت نظرية لومبروزو إلى نقد كثير مـن العلماء، واعتبروا ملاحظاته عشوائية لا ترقى إلى مستوى المنهج العلمي الـدقيق. كمـا نسـبوا إليـه جهلـه بمفهـوم الوراثـة وقوانينهـا المختلفـة، وافتقـار دراسـته للإحصائيات الدقيقة للجريمة(هارون، أحمد ٢٠٠٩).

ومن ناحيته فقد انتقد «تشارلز جورنج» نظرية لومبروزو فيما يتعلـق بـالتكوين الفيزيقي الارتدادي. ففي دراسته «المدانون الإنجليز English Convicts»، قـام

جـورنج بفحـص ثلاثـة آلاف سـجين إنجليـزي، وقـد اسـتخدم المقـاييس الأنثروبولوجية الدقيقة وما أتيح له من أساليب إحصائية حديثة، وقارن بـين تلـك المجموعة من المجرمين السجناء ومجموعة أخرى من غير المجـرمين، اعتمـادا على ٣٧ صفة جسمية، بما فيها الصـفات التـي اعتمـدها لـومبروزو، وتوصـل إلى نتيجة أنه لا توجد فروق ذات دلالـة بـين المجمـوعتين مـن الناحيـة البيولوجيـة (Recless,W.C 1940:164 وهـارون، أحمـد ١٣٩:٢٠٠٩). إلا أن هوتـون Hooton، الذي انتقد معارضة جورنج لفرضيات لومبروزو قد دلل على أن نتائجه هو شخصيا أكدت آراء لومبروزو. ومن ناحية أخرى، فقد كان أغلب علماء الجريمة مـن مؤيدي وجهة النظر البيئية يتفقون مع جورنج، وينتقدون كلا من لـومبروزو وهوتـون للعديد من المآخذ في إجراءات اختيار العينات التي استخدماها في دراسـتيهما، والتـي جعلت نتائجهما غير مقبولة (Rosenquist, C. and Megargee,E. 1969:12).

اعتمادا على ما سبق، يمكن القول بأن الخصائص الفيزيقية العضوية لا يمكـن أن تفسر على أنها دليل على جرائم الفرد أو سبب لجريمته، وفي حالة وجـود بعـض الفروق السطحية بين المجرمين وغير المجرمين، مثل ضعف الصحة أو انخفاض الـوزن أو الإصـابة بـبعض الأمـراض، فـإن كـل ذلـك يرجـع إلى رداءة الظـروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها المجرمون (هارون، أحمد ١٣٩:٢٠٠٩).

(١-٢) نظرية الأنماط الجسمية

وكما هو الحال بالنسبة للنظريـات الأنثروبولوجيـة الفيزيقيـة، فـإن «نظريـات الأنماط الجسمية» تعتمد على افتراض أن الخصائص الجسـمية للأفـراد تـنعكس على سلوكهم وتكوينهم النفسي وأمزجتهم سلبا أو إيجابا، بمعنـى أن أي نقـص أو امتياز تكويني جسمي يقابله بالضرورة نقص أو امتياز عقلي أو مزاجي أو سلوكي، وبخـلاف النظريـة الفيزيقيـة الأنثروبولوجيـة أيضـا فـإن هـذه النظريـة لا ترجـع الاختلافات بين الناس إلى أصول حيوانية أو بدائية ولا تعتبرهـا وصـمات، وإنمـا هذه النظرية ترجـع الاختلافـات بـين الأفـراد إلى ظـروف وطبيعـة تكـوين الفـرد

باعتباره منتميا إلى فئة معينة من الناس دون غيرهم (نعيم، سمير ١٥٥:١٩٨٥).

ولإثبات العلاقة بين بنية الجسم ومزاج الفرد واستعداده النفسي ونمط سلوكه، فقد أجريت دراسات عديدة لعل أهمها دراسات «وليم شيلدون» الذي استمد أفكاره واستنتاجاته من بحوث و«حقائق علم الحياة»، وترتكز دراساته على فكرة وجود « علاقة بين تركيبة الجسم والشخصية، ويشرح شيلدون ثلاثة أنماط جسمية، تتمثل في: «النمط العريض العضلي Mesomorph»، و«النمط النحيف Ectimorph»، و«النمط الفخم البدين Endomorph ». ولكل نمط من هذه الأنماط سمات سلوكية خاصة، حيث يتسم النمط الأول بالمغامرة والعدوان، ويتسم النمط الثاني بالتحفظ والانطواء، ويتسم النمط الثالث بالانبساطية والرغبة في مخالطة الآخرين (هارون، أحمد ١٤٠:٢٠٠٩).

وقد أجرى شلدون دراسة تعتمد على التركيبة البدنية لعينة تتكون من أربعمائة من الذكور في إحدى مؤسسات التأهيل، واستنتج أن «النمط العريض العضلي» أكثر شيوعا عند فئة الجانحين، وانتهى إلى تقرير مفاده وجود فروق في البنية بين الذكور الجانحين وغير الجانحين(هارون، أحمد ١٤٠:٢٠٠٩).

وقريبا من هذه النظرية، قام كل من شلدون جلوك وزوجته إليانور جلوك – ويشار إليهما في أمريكا ب (Gluecks) – بدراستهما التي تفترض «أن بناء الجسم يلعب دورا مهما في إحداث السلوك الجانح»، كما تؤكد هذه النظرية على أهمية عامل الوراثة كمسبب للانحراف، وتوصلا إلى النتائج التالية:

(أ) وجود علاقة بين الاختلافات في نمط البناء الفيزيقي وظهور سمات معينة للانحراف.

(ب) أي اختلافات في أنماط البناء الفيزيقي تؤدي إلى اختلافات في الاستجابة للضغوط البيئية.

(ج) أن الاختلافات في وجود سمات معينة بين الأنماط الفيزيقية للأحداث المنحرفين - بالإضافة إلى التباينات في ردود أفعالهم مع البيئة المحيطة - تعكس الاختلافات فيما بينهم في أسباب الجنوح. (Gluecks 1974).

وقد وجهت كثير من الانتقادات للنتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات، باعتبار أنها لم ترتكز على أساس نظري موثوق به، كما أنها فشلت في أن تفرق بين العوامل الذاتية الفطرية والعوامل الموضوعية الاجتماعية المسببة للانحراف والجريمة (Hurwitz,S. and Christiansen,K. 1983:78).

(١-٣) الاتجاه البيوكيميائي في تفسير الانحراف والجريمة Biochemical

ضمن النظريات البيولوجية العضوية لتفسير الجريمة والانحراف، يأتي هذا الاتجاه ليشير إلى تأثير وظائف الغدد الصماء وإفرازاتها الهرمونية على الطبيعة النفسية والسلوكية للفرد، ويذهب المؤيدون لهذا الاتجاه إلى أن الجريمة تحدث نتيجة اضطراب انفعالي سببه خلل في الغدد، ومثال لذلك، أن الأفراد ذوي الإفراز الدرقي الزائد نادرا ما يكونون من المجرمين، بينما من هم من ذوي الإفراز الزائد في الغدد الجنسية أو الكظرية غالبا ما يكونون من أصحاب الإجرام العنيف كالقتل وقطع الطريق وهتك الأعراض والانحرافات الجنسية (هارون، أحمد ١٤١:٢٠٠٩ : منصور، عبد المجيد والشربيني، زكريا ٧٥:٢٠٠٣).

وحول هذا الموضوع أجريت عدة دراسات على عينات كبيرة من المجرمين المودعين في السجون والمؤسسات العقابية والإصلاحية، والذين يعانون من اضطرابات في الغدد الصماء، وتوصلت بعض هذه الدراسات إلى نتائج مؤداها أن الاضطرابات الغددية للمنحرفين تؤدي بهم إلى حالة من عدم الاستقرار العاطفي. فبعض المجرمين القتلة يعانون من اضطرابات في الغدد وفي خلايا ومراكز عصبية مختلفة، ولا يهدأ توترهم إلا بارتكاب العمل الإجرامي. ومع ذلك هناك من الأفراد الأسوياء من يعاني من الاضطرابات في الغدد، مما يجعلنا لا نعتمد بصفة

قاطعة على تفسير الجريمة في ضوء الاضطرابات الغددية (منصور، عبد المجيد والشربيني، زكريا ٢٠٠٣:٧٥).

وكخلاصة عامة، فإن النظريات البيولوجية والتكوينية يجمعها قاسم مشترك، هو أن أسباب الجريمة والانحراف يمكن أن تفسر في ضوء سمات بيولوجية وتكوينية تتعلق بطبيعة الفرد أكثر من كونها انعكاسات لظروف المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، وهي بذلك ربما تعكس نوعا من الظلم الاجتماعي لتجاهلها ما يلحق بفئة معينة من الناس من غبن وخاصة في الغرب عموما وفي المرحلة الزمنية التي ظهرت فيها هذه النظريات، حيث كانت العنصرية تعتبر أبرز مظاهر المجتمع الغربي.

وحتى لو أنه صادف وجود مشكلات سلوكية لفئة من الأفراد تتصف بتلك الصفات البيولوجية المذكورة، لا يمكن أن يقتصر تفسير حدوث الجريمة على وجود تلك الصفات وحدها بقدر ما يفسر ذلك ما يصاحب هؤلاء الأفراد من عوامل اجتماعية أو نفسية أخرى قد تكون مسببة للانحراف والجريمة.

وإذا ما حاولنا تطبيق هذه النظرية على مجتمعاتنا العربية، سنجدها قاصرة عن تفسير سلوك مجتمع يدين معظمه بالدين الإسلامي الذي لا يفرق بين عنصر وآخر إلا على أساس قيمي، وهو المجتمع الذي تلعب فيه العوامل الاجتماعية والنفسية دورا أكثر كمسببات السلوك، من تلك التي تصم أفرادا معينين على أساس العرق واللون والشكل وغيره.

(٢) منظور الطب النفسي وعلم النفس للجريمة والانحراف

في تفسيراتهم للانحراف والجريمة يجمع العلماء في الطب النفسي والعلماء النفسيون على أنه في معظم الحالات، تعود الأسباب إلى عوامل ذاتية شخصية للفرد، وأنه لمعرفة هذا السلوك لا بد من الأخذ في الاعتبار ردود فعل الفرد تجاه الضغوط البيئية التي يتعرض لها.

وقد كان لتطور علم الحياة وعلم الوراثة انعكاسات في محاولة تفسير السلوك الإجرامي بأسباب بيولوجية وتكوينية، وحاول الطب العقلي في القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين تفسير المرض العقلي على أساس الوراثة والأسباب الفسيولوجية فقط. كما كان اقتصار هذه التفسيرات على علم الأعصاب والطب دون غيرهما، مما أدى إلى الفشل في العلاج، ويندرج ذلك أيضا على المجرمين(نعيم، سمير ١٧٧:١٩٨٥).

ففي البدء، أخذت الدراسات السايكاترية (الطب النفسي) والمحاولات الرائدة منها في تفسيرها لانحراف الأحداث بربط الاضطرابات الجسدية ببعض الاضطرابات النفسية والعقلية والعاطفية، فأجريت الدراسات على ملامح البنية الجثمانية، كوزن الجسم، وطول القامة، وحجم الجمجمة، ونسبة الذكاء، وعلاقة هذه الصفات البيولوجية بنمو وتطور المنحرف (ميزاب، ناصر ١٦١:٢٠٠٥).

ومن أمثلة هذه التفسيرات كما يدعي جودارد Goddard أن كلا من الضعف العقلي والمستوى المنخفض للذكاء وعلاقاتهما بالجريمة قد درست من قبل العديد من العلماء، واستنتج أن ٥٠٪ من المجرمين كانوا مختلين عقليا أو من ذوي مستوى الذكاء المنخفض (Fox 1976:167-202).

كما يشير كل من عبد المجيد منصور وزكريا الشربيني (٢٠٠٣) إلى وجود دراسات ربطت بين الضعف العقلي والسلوك الإجرامي، ولكن هذه الدراسات ترى إمكانية حدوث ذلك فقط عندما يجد الفرد البيئة الملائمة لتنمية ميوله الإجرامية، وفي هذا السياق يمكن القول بأن ضعاف العقول لا يمتلكون القدرة الكافية على مقاومة تأثير رجال العصابات والمجرمين الذين يتصيدونهم ويقومون بإغرائهم للقيام بارتكاب الجرائم نيابة عنهم لتحقيق غايتهم الإجرامية (ص ٨٠).

إلا أن نظرية التحليل النفسي لسيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩)، والتي تزامنت مع تطور العلوم الاجتماعية وخاصة علم النفس، كان لها كبير الأثر على

تفسيرات الطب النفسي للمرض العقلي، فأصبحت هذه التفسيرات أكثر ديناميكية، فأدخل العلاج النفسي Psychotherapy لمرضى العقل، وأدى هذا التطور في ميدان الطب النفسي إلى ظهور تفسيرات طبية نفسية، أو بمعنى آخر تفسيرات سيكولوجية ديناميكية للسلوك الإجرامي (نعيم، سمير ١٧٨:١٩٨٥).

ثم أصبح التحليل النفسي هو المنهج للعلاج في الطب النفسي عند فرويد، وخاصة مرض العصاب، ويحدث العصاب - طبقا لهذه النظرية - نتيجة صراع داخلي بين طرفين: الدوافع الغريزية والأنا، وذلك عندما لم تكن لأحد الطرفين الغلبة على الآخر، فيؤدي ذلك إلى تواري الرغبة الغريزية المتعارضة مع متطلبات «الأنا» في اللاشعور unconscious بفعل عملية الكبت inhibition، إلا أن عملية الكبت هذه للرغبة الغريزية قد لا تنجح، إنما هي فقط تستطيع أن تغيب عن الشعور مؤقتا، ثم تعود إلى الظهور في الشعور بصورة مُقنعة. وباختصار يتخذ مرض العصاب في تكوينه الخطوات التالية: صراع داخلي - كبت غير ناجح - عودة المكبوت. وهكذا جاءت معظم إسهامات التحليل النفسي على السلوك الإجرامي بطريقة غير مباشرة بوصفه مجموعة أو سلسلة من الاضطرابات النفسية تفصح عن نفسها بشكل مضاد للمجتمع (نعيم، سمير ١٨٠:١٩٨٥).

كما درج طب الأمراض العقلية فيما بعد في تفسيره للجريمة على أنها نتيجة الصراع النفسي الذي يتعرض له الفرد في البيئة التي يعيش فيها، وما يحدث من اختلال بعض عناصر التنشئة الاجتماعية فيها (منصور، والشربيني ٨٠: ٢٠٠٣).

أما علماء النفس فيرجعون سبب السلوك المنحرف إلى الخلل أو الاضطراب في التكوين النفسي للشخصية، ويظهر ذلك جليا في مظاهر سلوك المنحرف تبعا لظروف وعوامل تكوين كل شخصية وتأثرها بالعوامل الاجتماعية المحددة لعلاقة الفرد بغيره (هارون، أحمد ١٤٢:٢٠٠٩).

ويعتقد الدكتور سمير نعيم أنه قد يؤدي الإحباط المفاجئ أو المشكلات العاطفية أو أي من الأزمات الخطيرة إلى الاضطرابات النفسية التي كثيرا ما تؤدي بالتالي إلى انحرافات سلوكية أو إجرامية، ولكن تلك الآثار تعتمد بدرجة كبيرة على مدى ردود أفعال الفرد وتصوره عما يشعر به الآخرون والمجتمع تجاهه (٦-١٨٢: ١٩٨٥).

إن فشل الفرد في تنظيم علاقته بالآخرين وعجزه عن إشباع دوافعه وفق الأطر القيمية والمعيارية للمجتمع، وعجزه من محاولة التوفيق بين تطلعاته وإمكانياته، كل ذلك يؤدي إلى سوء التوافق وعدم التكيف مع المجتمع، وفي حالة فشله في إعادة التوازن بين ما يريد وبين استطاعته لتحقيق ما يريده قد يلجأ الفرد إلى الانحراف، فباستطاعة الإنسان السوي التوافق والتكيف مع الضغوط الاجتماعية، وذلك عن طريق تعديل سلوكه، حيث يتعلم ويكتسب القيم والمعتقدات والمعارف والمعلومات، وبذلك يستطيع أن يتعايش مع الآخرين ويتفاعل معهم تفاعلا سويا (منصور، والشربيني ٩٣: ٢٠٠٣).

ويمكن القول أنه قد تتآزر مجموعة مختلفة من العوامل لإحداث سوء التوافق لدى الفرد، منها: عوامل جسمية عضوية، مثل اختلال الإفراز الغددي، أو اختلال الجهاز العصبي، أو إصابة الحواس، أو اختلال الأجهزة العضلية، كصلابة المفاصل، كل ذلك قد يفضي إلى السلوك الانحرافي. إضافة إلى عوامل عقلية مثل انخفاض نسبة الذكاء المعوق للتحصيل الدراسي، أو الإصابة بالأمراض النفسية أو العقلية، كذلك تساهم العوامل الاجتماعية لسوء التوافق الذي يمكن أن يؤدي للانحراف والجريمة، منها فشل التربية في غرس القيم الحميدة وتعزيز الانتماء للعقيدة لدى الأبناء، مما يجعلهم عاجزين عن التعامل السوي مع الآخرين، وهذا يؤدي بهم إلى اضطراب السلوك والجنوح (منصور، عبد المجيد والشربيني، زكريا ٩٣: ٢٠٠٣).

وبصفة عامة يمكن تفسير الجريمة من وجهة نظر المتخصصين في الأمراض النفسية والعقلية في ضوء ثلاثة أنواع مختلفة من العوامل:

١. عوامل بنيوية ترتبط بالجريمة، والقصور العقلي والذكائي، أو أي اضطراب نفسي عتهي قد يؤثر في الشخصية.

٢. عوامل ارتقائية تربط سلوك الفرد بعملية نموه السيكولوجي البيولوجي والاجتماعي طوال حياته، من المولد حتى الشيخوخة.

٣. عوامل مترسبة قد تحدث فجأة أثناء حياة الفرد، مؤثرة بشكل خطير في معنوياته، أو سواءه أو توافقه، والتي يعتقد البعض أنها السبب في إجرامه (نعيم، سمير ١٩٨٥).

ورغم ما آلت إليه التفسيرات الذاتية للانحراف والجريمة من نجاحات، إلا أنها ما زالت قاصرة في إعطاء تصور شامل لكل ما يحدث في الواقع من جرائم، فهناك أشخاص لا يعانون من النواقص الذاتية - كالأمراض النفسية أو العقلية- ومع ذلك يرتكبون أفعالا مضادة للمجتمع والقانون، وهذا ما دعا علماء الاجتماع للنظر إلى أهمية دراسة العوامل الاجتماعية كمسببات للانحراف والجريمة.